كتاب

الدرّ المرصوف في تاريخ الشوف (تابع)

تأليف القس حنانيا المنير من الرهبانية الشويرية

مهّد له وعلّق حواشيه ونشره

الاب اغناطيوس سركيس
من الرهبانية الشويرية

بسم الله الحي الازلي

الحمد لله الواحد القهار المنزه عن البداية والنهاية والاغيار المحتجب عن ذوي البصائر والابصار والمتعالي على اعلى العقول والافكار المانح الاحكام للحكام ذوي السلطة والاقتدار والكابح اخلاق القوم العتاة الفجار الذي جعلنا بواسطة التواريخ والاخبار نعرف ما حدث في جميع الممالك والاقطار حتى اذا سمعنا ما صدر من الرجال الاخيار من العدل والشهامة وحفظ الذمم والاسرار وما فرط من الاراذل الاشرار من المظالم وارتكاب الاوزار نقتفي من الصالحين تلك الآثار ونجتنب طرق المارقين الموصلة الى سوء الدار.

اما بعد فيقول الفقير الى عفوه تعالى الراهب حنانيا المنير احد رهبان دير الشوير انه اذ كان النسيان مستحوذاً على كل انسان وكانت الحاجة تدعو في اكثر الاحيان الى معرفة ما حدث في سالف الزمان وقد ثبت ان ما لا يكون مسطوراً لا يثبت في الاذهان تصديت لانشاء هذا التاريخ القريب العهد باذلاً في احتماله كل الجد والجهد. وقد اقتصرت فيه على حوادث بلاد الشوف ونواحيها. واضفت اليها ما حدث في غيرها مما انتهى الى حدوثه فيها فاحصاً فحصاً حثيثاً عن حقائق الامور قبل تسليمها الى السطور. وقد شرعت في هذا العمل ولا ادري متى يحل الاجل. فاريد ممن يقف على كتابي هذا ان يصلح ما فيه من الخلل. والذي يكمله بعدي فله الثواب الاكمل. واسأل الله تعالى حسن العناية في اتمام هذه الغاية لان زمن الموت مجهول، كما انظم فاقول:

الموت ثم فناء فيما مضى حكم من الباري على كل الورى
هل يعلم الانسان يوم وقوعه ام كيف ام اين الوقيعة يا ترى
لو كنت اصغره سنت قدومه لكنه نص خفي لا يرى
طوى لذي للموت كان مذيده وكذاك من كل الورى الفى ورا
بين الامانة والخيانة يا فتى بون كما بين الثريا والثرى
ولكل ساع عند ربك ما سعى ولكل قلب ما نواه واضمرا
وانا الذي اصرفت عمري غافلا فررت منيها كاني في الكرى
يا رب كن لي صافحاً عما طفت قدمي وكن لي غافرًا ما قد جرى
وادوم من اهل البصيرة من رأى هذا الكتاب وكل من فيه قرا
كرمًا بغض الطرف عن غلطاته فالجود خلق لا يباع ويشترى
يا ناظرًا كل الزمان وعالمًا بالكائنات وانت في اعلى الذرى
امنن بتوفيق لما ترضى به يا خالقًا ما لا تراه وما ترى

تنبيه [1]

اعلم وفقك الله انني قد عثرت على بعض حوادث تقدم وقوعها في هذه البلاد . منها ما سمعته من شيوخ ثقاة قد حدثت في عهدهم : ومنها رأيته مسطورًا من اقوام مشهود لهم بصدق الرواية . فرأيت ان اذكر بعضها لتكون مقدمة لما بعدها . وهي منذ انقراض دولة بني معن واقامة بني شهاب . فاقول .

حكم الامير بشير الاول ١١٠٩ — ١١١٧ (١٦٩٧–١٧٠٥) [2]

انه قد كان اول من تولى حكم جبل الشوف وجلس على كرسي دير القمر هو الامير بشير الشهابي وكان ذلك سنة ١١٠٩ من الهجرة (١٦٩٧) . لانه في تلك السنة كان قد توفي الامير احمد معن ولم يكن له ولد ذكر فاجتمعت بعد وفاته مشايخ البلاد من السبع مقاطعات . وهي الشوف والمرقوب والجرد والشحار والغرب والمتن وكسروان . لانه كان حاكمًا في البلاد واجمع رأيهم على تسليم الحكم للامير بشير الموما اليه له وارسلوا فاعرضوا رأيهم على وزير

١) العنوان هنا وحده من وضع المؤلف . اما العناوين الآتية بعده فجميعها من وضع الناشر .

٢) السنوات واردة في الاصل بالتاريخ الهجري . الا اننا وضعنا الى جانبها ما يقابلها من التاريخ المسيحي .

صيدا . فارتضى به تحت دفع دراهم كانت مكسورة عند الامير احمد معن المتوفى. وتسلم الامير بشير زمام الحكم وعدل في حكمه وخضع له اهل البلاد جميعهم الا اليمنية. لان البلاد كانت حزبين في تلك الايام: بني قيس وبني يمن[1] كما هي الآن يزبكية وجنبلاطية . ورفع اليمنيون دعواهم للباب العالي انهم لا يرضون الامير بشير حاكماً عليهم . فقبلت الدولة سؤالهم وحضر امر من السلطان ان يكون الامير حيدر ابن الامير موسى الشهابي حاكماً في البلاد ويكون الامير بشير مؤازراً له في تدبيره لانه كان قاصراً ابن اثنتي عشرة سنة . وكانت امه بنت الامير احمد معن. ولما وصل الامر السلطاني الى صيدا واطلع عليه الوزير عرض للدولة بان الامير حيدر صغير السن لا يصلح للولاية. وان العدة من اهل البلاد لا يقبلون ولايته . فرجع الجواب بتقرير الامير بشير على الحكم وتولى على كل ما كان في يد بني معن وكان ذلك سنة ١١١٠ (١٦٩٨) .

وفي هذه السنة تولى على ايالة طرابلس رسلان باشا . وتولى على ايالة صيدا اخوه قبلان باشا[2] . فحدث في هذا العهد ان حاكم بلاد بشارة عصا على قبلان باشا وعمد على مقاومته فاستنجد قبلان باشا بالامير بشير وطلب اسعافه . فاتاه بثمانية الاف رجل . وكبس ذلك العاصي وقبض عليه وسلمه الى قبلان باشا فازداد عنده قبولاً . وساطه على ايالة صيدا ، من بلاد صفد الى جسر المعاملتين في كسروان وشاع ذكره وعظم شأنه حتى عند الدولة العلية .

وفي هذه السنة كان حكم بلاد جبيل في ايدي المشايخ بني حماده. وكانوا يلبسون خلعة الحكم من يد وزير طرابلس . فحدث منهم مطاولة على حقوق رسلان باشا فغضب عليهم ونزع الولاية منهم . فتوسط امرهم الامير بشير واسترضاه واعادهم الى الولاية .

حكم الامير حيدر ١١١٧ – ١١٦٣ (١٧٠٥ – ١٧٣٠)

وفي سنة ١١١٧ (١٧٠٥) توفي الامير بشير في بلاد صفد . ودفن في مدينة صيدا ، في مدفن بني معن . وكان قد اقام في الحكم سبع سنوات .

١) سيرى القارئ ان هذه العصبية التي استفحل امرها في القرن السابع عشر قد اضمحلت في لبنان في اوائل القرن التالي .

٢) سيجيء في آخر الكتاب معجم باسماء الاعلام .

وكان عادلاً شجاعاً كريماً ذا هيبة ووقار ، اصهب طويل القامة حسن الصورة وقيل : كان سبب وفاته انه خرج في جباية الاموال السلطانية الى نواحي صفد. وبينما هو في الطريق ، التقاه بعض الامراء بني عمه من حاصبيا وسألوه ان يضيفهم. وكان بالقرب من مكانهم . فاجاب وانعطف معهم الى منزلهم . فاحتفلوا به وقدموا اليه في اطعمتهم شيئاً من الحلوى بعضه ابيض وبعضه احمر . وكان الاحمر مسموماً . فكانوا لا يأكلون منه . واكل منه الامير بشير . فدبّ السمّ في اعضائه ، وكان ذلك السم لطيفاً فلم يظهر له اثر حتى انصرف الى طريقه . فكان يعتلّ يوماً فيوماً حتى مات . وكان ذلك حسداً منهم وطمعاً في اتخاذ الولاية بعده. ولما توفي الامير بشير ، اجتمعت مناصب البلاد واكابرها. وتداولوا في من يقلدونه الولاية فاتفق رأيهم على الامير حيدر الذي مرّ ذكره . وكان قد تزوج ورزق ولدين احدهما يقال له الامير ملحم والاخر الامير احمد . فاحضروه من حاصبيا بالعز والاكرام . وسلموه امرهم واقام في دير القمر . وقبلت الناس ولايته وطاعت اوامره . الا حكام بلاد المتاولة . فعصوا ورفضوا اوامره وتصلبوا لمقاومته . وكان حينئذٍ حكم بلاد المتاولة في يد المشايخ بني علي الصغير من يد بشير باشا والي صيدا . وحكم عكا وبلاد صفد في يد المشايخ اولاد بني زيدان . وحكم بلاد الدروز والسبع مقاطعات في يد الامير حيدر الشهابي . وكان الامير حيدر ، لما تحقق عصاوة المتاولة عليه جمع رجاله وتوجه لقتالهم . واما هم فقد اجتمعوا الى قرية النباطية وعولوا على قتاله فكبس القرية المذكورة والقى فيهم السيف . فقاتلوه . وكانت النصرة له . فهتك بهم ودخل القرية عليهم وقتل منهم مقتلة عظيمة ورجع الى بلاده ظافراً . وكان ذلك سنة ١١٣٠ (١٠٧٨) .

وهذا كله كان بغير اذن بشير باشا ولا علمه . فانكر ذلك على الامير حيدر وغضب عليه. وكان باقياً من اليمنية بعض رجال من الامراء بني علم الدين في الجرد والغرب . فانفذ اليهم بشير باشا وطيب قلوبهم وانهضهم ضد الامير حيدر وامرهم ان يطردوه من البلاد ويتسلموا الحكم مكانه . ووعدهم بان يؤازرهم على ذلك . واشتهر هذا الامر . وتظاهر بنو علم الدين . وتكاثر حزب اليمنية ونهض لاسعافهم الامير يوسف رسلان . وكان حاكم الغربين الاعلى

والادنى . وكان مقامه في قرية الشويفات . وانحاز الى عرض اليمنية كثير من القيسية . منهم الشيخ محمود من بني هرموش . وكان عمدة في البلاد . ونهضوا جميعهم للقتال . وضعف عرض الامير حيدر ، فخشي ، وانكسرت نفسه ، وارسل عياله الى حيث يأتمن عليهم في كسروان . واقاموا هناك تحت الخفاء في قرية صغيرة . وكابدوا الذل الشديد . واما الامير حيدر فانطلق الى الهرمل مقاطعة الامراء بني الحرفوش واختفى هناك في بعض الكهوف حيث تأوي الوحوش وكان المشايخ بني الخازن يرسلون اليه الذخائر الى هناك سرًا . وتسلم زمام الحكم الامير يوسف علم الدين واخوه الامير منصور ، من يد بشير باشا والي صيدا . وكان المدبر في دولتهما الشيخ محمود هرموش . فجاروا على الرعايا لا سيما بني قيس . واقاموا على ذلك سنتين الا قليلًا . فقامت الحركة في البلاد واتفقت القيسية على اعادة الامير حيدر الى الولاية . وراسلوه عن يد المشايخ بني الخازن . واستدعوه ان يوافيهم الى المتن . فاجابهم وحضر الى دار المقدم حسين ابي اللمع . وبلغت الاعلام كل بني قيس . فتبادروا اليه وكان عمدتهم الشيخ قبلان القاضي من جباع الشوف . والشيخ سيد احمد ابو عذرا من البارودك في العرقوب . وعلي ابو نكد من المتاصف . ومحمد تلحوق من الغرب . والشيخ غازن من بني الخازن من كسروان . والمقدم مراد ابن المقدم محمد ابي اللمع من المتن . وتكاثرت القيسية عنده . واجتمعوا في رأس المتن . وبلغ ذلك امراء اليمنية . فانفذوا اخبروا بشير باشا والي صيدا فحضر حالًا بعسكره الى حرش صنوبر بيروت وانفذوا فاستغاثوا بنصوح باشا والي الشام . ووعدوه بايراد دراهم نفقة عسكر . فقبل سؤالهم واقبل مسرعا بعسكره الى قب الياس في البقاع . وتجمعت رجال اليمنية من الشوف والغرب والجرد وحضروا جميعهم الى قرية عين دارة بالغرب من طرق المتن الاعلى . وصار الاتفاق ان يرتفع بشير باشا من حرش بيروت الى قرية بيت مري في طرف المتن الادنى ونصوح باشا الى المفيشة في اعالي المتن ورجال اليمنية الى حمانا في باطن المتن . وان الثلاثة عساكر تمشي في وقت واحد معهود بينهم بحيث تصل معا وتكبس القيسية والامير حيدر في رأس المتن . وبلغ الامير حيدر هذا الاتفاق . جمع بني قيس الذين عنده . وتداولوا فيما يكون . فاتفقوا ان يكبسوا اليمنية

ليلا في عين دارة . وكان كذلك .

وفي تلك الليلة ركب الامير حيدر ببني قيس وتوجهوا الى عين داره . وكانت ليلة الجمعة من ثامن عشر محرم ١١٢٣ (١٧١١). فانقسموا ثلاث فرق وهجموا على القرية حتى وصلوا اليها . فصاحوا واطلقوا البارود . فثارت اليمنية وانتشبت الحرب . وحملت بعض الرجال القيسية فملكت جانباً من القرية واهوت عليها البقية فدخلوا. واتصلت القيسية باليمنية. فتركوا البارود وامتشقوا السيوف والانجاق . واراد الله ان يظفر القيسية فاستظهروا عليهم . وقتل في تلك الليلة خمسة امراء من بني علم الدين وخلق كثير من اليمنية. وهرب الذين سلموا فلم يوجد منهم احد . قيل : وكان قاتل هؤلاء الخمسة الامراء المقدم حسين ابي اللمع .

وبعد انصراف الوقيعة دخل عليه رجل فلقبه بالمقدم على عادته . فغضب وقال : اقتل خمسة امراء ويقال لي مقدم ؟ ! وقام اليه بالسيف فقتله . يريد ان يلقب بالامير . لان المقدم طبقة بين الامير والشيخ .

وقبض الامير حيدر على الشيخ محمود هرموش . واراد ان يقتله . فمنعه المشايخ عن ذلك خوفاً من سلوك هذه العادة في قتل المشايخ لانهم لم تكن لهم عادة في القتل ولا في الحبس ايضاً . فاذا اذنب احدهم كان قصاصه الطرد او سلب المال او اتلاف ماله من اغراض وابنية ونحو ذلك . ولما لم توافقه المشايخ على قتله قطع لسانه وابهام يديه واطلقه . وكان اذ بلغ الوزيرين ما كان انصرف كل منهما بعسكره خوفاً من وصول الطائلة اليه . وتوجه الامير حيدر الى دير القمر وفي ركابه موكب القيسية . ومن ذلك العهد تأيدت القيسية في البلاد وتبددت اليمنية منها . فضبط الامير حيدر املاكهم وديارهم واموالهم . وانعم على من كان في نصرته من اكابر البلاد . واعطى المقدم حسين ابا اللمع قاطع بيت شباب وبكفيا . وتزوج بابنته سعود . واعطى المقدم مراد ابا اللمع نصف حكم المتن وبشكنتا . وتزوج بامه لان اباه كان قد توفي. واطلق على بني ابي اللمع لقب الامارة . واعطى الشيخ قبلان القاضي اقليم جزين . واعطى الشيخ علي ابا نكد الناعمة وما يليها . واعطى محمد تلحوق الغرب الاعلى واطلق عليه لقب شيخ . وقام ضد الامير يوسف رسلان . لان

الامير يوسف كان حاكم القريتين . فلما تظاهر بالغرض للسنية نزع منه القرب الاعلى وسلمه لمحمد تلحوق . وجعل يكتب لهؤلاء المذكورين : الاخ العزيز .

وحكم . وعدل في حكمه ومالت اليه الناس . وعظم شأنه عند الجميع . وبعد مدة طويلة نهض ضده بعض مشايخ البلاد . واراد وا ان يخلعوه وينصبوا مكانه الامير احمد ابن الامير منصور الشهابي من راشيا . فاستنجدوا لاقام مطلوبهم بالامير سيد احمد حاكم حاصبيا . ولما علم الامير حيدر بذلك استدعى اليه الامير احمد . ونوه له انه يريد ان يعطيه ابنته ويستوزره في اموره . فركب الامير احمد وحضر الى دير القمر . فالتقاه الامير حيدر احسن ملتقى وكان له سريرة عند الامير نجم الشهابي في حاصبيا . فكتب له انه يريد ان يقتل الامير احمد وانه متى بلغه العلم بقتله ينهض على الامير سيد احمد فيقتله ويتولى مكانه بمناضدته . ثم ان الامير حيدر امر اولاده بقتل الامير احمد . فنهضوا عليه ليلاً وهو نائم فقتلوه . وارسل حالاً يخبر الامير نجم بذلك ليقتل الامير سيد احمد فسبق الرسول عبد كان مع الامير احمد وكان لما قتل مولاه انهزم ومضى الى حاصبيا . فاخبر الامير سيد احمد . ولما علم الامير سيد احمد بذلك . خاف على نفسه . وانهزم ايضاً الى نواحي دمشق .

واقام الامير حيدر في الحكم ستة وعشرين عاماً الى ان توفي . وكان عادلاً شجاعاً كريماً سديد الرأي اسمر اللون حسن الصورة . وكان قد تزوج بسبع نساء . منهن اثنتان من بنات عمه من حاصبيا . واثنتان من بني ابي اللمع من المتن كما ذكرنا . وثلاث سراري . ورزق تسعة اولاد ذكور وهم الامير ملحم والامير احمد من ام واحدة . والامير منصور . والامير يونس . والامير علي والامير حسن من ام اخرى وكلتاهما من بنات عمه كما مر . والامير عمر من والدة المقدم مراد ابي اللمع . والامير بشير من ابنة المقدم حسين . وكانت وفاة الامير حيدر سنة ١١٤٣ (١٧٣٠) واقاموا له مناحة عظيمة اربعين يوماً . ولبست النساء اثواب الحداد في جميع البلاد . وحدث في ايام ولايته حوادث كثيرة عدلنا عن ذكرها طلباً للاختصار .

حكم الامير ملحم ١١٦٣ – ١١٦٧ (١٧٥٠ – ١٧٥٣)

وبعد وفاة الامير حيدر تولى مكانه ولده الامير ملحم . وكان عادلاً في حكمه لكنه كان صارماً جداً فلا تأخذه رأفة في القصاص . ولا يقبل شفاعة شافع . فهابته الناس ولزم كل انسان حده . والقى الفتنة بين مشايخ البلاد وحكامها . فكان ذلك سبباً لتأييده وثبات حكمه . وكان الوالي يومئذٍ في صيدا اسعد باشا العظم . وكان مبغضاً للامير ملحم ويرغب ان ينزع الحكم من يده . ولكن لم يتيسر له ذلك فاقام اربع سنين في صيدا . ثم جبرت له ولاية دمشق الشام . وتولى مكانه اخوه سعد الدين باشا . وكان يكره اخاه اسعد ويحب الامير ملحم حباً شديداً . وبعد ذلك بايام اراد اسعد باشا ان يزعج خاطر الامير ملحم فادعى عليه دعاوى باطلة وجهز عسكراً وحضر به الى نواحي البقاع لمحاورة الامير ملحم . ولما بلغ الامير ذلك جمع عسكراً من البلاد وركب يطلب اسعد باشا حتى وقع عليه بتلك الرجال التي معه . فلم يجد له طاقة على قتال الامير ملحم فانهزم . وساق الامير في اثره الى قرب دمشق . ثم انعطف في رجوعه الى البقاع فاحرق ونهب اكثر قراها . وشاع خبر جبروته . وهابته الدولة وعظم شأنه عند الشعوب المجاورين له وكان ذلك سنة ١١٥٤ (١٧٤١) وهي السنة الثانية عشرة من حكمه .

وفي سنة ١١٥٦ (١٧٤٣) عصت المتاولة على سعد الدين باشا . وابوا ان يدفعوا له المال السلطاني ، واستهانوا به . فارسل يخبر الامير ملحم بذلك . وطلب منه الاسعاف . فجمع عسكراً عظيماً من رجال البلاد وتوجه لقتال المتاولة . وكانوا لما بلغهم قيام الامير ملحم خافوا وارادوا ان يتلافوا امرهم . فنزلت مشايخهم الى صيدا وتراموا على الوزير واعتذروا اليه واقروا له بايراد الاموال المرتبة عليهم فرضي عنهم وعرف الامير ملحم بذلك وامره بالرجوع عنهم . وكان الامير قد وصل الى الاولي قرب صيدا . فلم يحفل بقول الوزير . واخذ في طريقه اليهم لانهم اتفقوا مع الوزير عن غير يده ولا علمه . وما زال حتى وصل الى قرية نصار . ولما تحققت المتاولة وصول الامير ملحم الى بلادهم واصراره على قتالهم لم يكن لهم بد من التأهب . فاستعدوا للقتال وجمعوا

رجالهم . ثم انتشب القتال بينهم . فكانت موقعة عظيمة الى حين من الزمان . فانكسرت المتاولة وفر من وجد سبيلاً للفرار . وكان كثير منهم قد تحصنوا في القرية فدخل عليهم الامير ملحم برجاله واعمل السيف فيهم حتى اتى على آخرهم فقتل منهم في ذلك اليوم الف وستمئة وستة انفار . واستلم الامير ملحم وقومه امرالهم وخيلهم وسلاحهم واحرق بلادهم واستأسر منهم اربعة مشايخ من اكابرهم وعاد منهم ظافراً غانماً . فجعل طريقه على صيدا وطلب من الوزير نفقة عسكر . فارسل اليه وبعث الامير ملحم الى الوزير بالاسرى الذين معهم وحضر الى دير القمر . ووقعت له هيبة في قلب الوزير واهل البلاد .

وفي سنة ١١٥٨ (١٧٤٥) وهي السنة الخامسة عشرة من حكمه ، انجد له ولد سماه الامير يوسف .

وفي سنة ١١٦٣ (١٧٤٩) وهي سنة العشرين من ولايته . عضب على الشدياق بطرس العشقوتي وكان مديراً في دولته . وذلك لان الشدياق بطرس كان قد داخله العجب والطمع فتطاول على بعض ارزاق تخص الامير ملحم بعير اذنه . فامر بحبسه وضبط جميع املاكه . فعظم عليه جداً وهانت عنده الحياة ثم قطع خصيتيه بيده ومات . فاغتاظ الامير ملحم لموته وتأسف عليه وندم على ما فعل لانه كان نافعاً له في حسن تدبيره .

وفي هذه السنة كان سليمان باشا العظم والياً في دمشق الشام . فغضب على الانكشارية ونفاهم من البلاد . فحضر ضابط زمامهم احمد آغا القلطقجي وبعض آغوات من اتباعه الى حماية بني يزبك . وكان يغزون في اثنا ذلك الى اطراف دمشق فينهبون ويقطعون الطرق . فكتب سليمان باشا الى الامير ملحم ان يطردهم من بلاده . ولما عزم الامير ملحم على طردهم منعه الشيخ شاهين تلحوق والمشايخ بني عبد الملك . فارسل الامير واحرق ديار بني تلحوق في الغرب وبني عبد الملك في الجرد . وقام الشيخ شاهين واحمد آغا الى نواحي البقاع حتى دخلت جماعة واسطة في الصلح فسالموا بين سليمان باشا والانكشارية ورجع احمد آغا وجماعته الى دمشق . ورجع الشيخ شاهين الى البلاد . وعوض عليه الامير ملحم مما كان اتلفه : وصفا خاطره عليه .

وفي سنة ١١٦٦ (١٧٥٢) اتفق ان رجلاً من دير القمر تخاصم مع رجل

من خدم المشايخ النكدية فقتل خادم المشايخ . فقبض الامير ملحم على القاتل وحبسه لانه لم يكن قتل متعمداً . وكان الامير ملحم يريد ان يطلقه بعد تأديبه . فهجم بعض المشايخ المذكورين على السجن ليقتلوا المسجون بغير ارادة الامير . فمنعهم . وصار هياج بالشعب عظيم في دير القمر حتى اضطر الامير ان يأمر بقتله رغماً عنه فقتل . واثّر ذلك في قلب الامير ملحم وعول على نكبتهم. فالقى الفتنة بين الشيخ خطار والشيخ كليب نكد وجدت العداوة بينهما حتى نهض بعضهما على بعض . فاقصاهما الامير من البلاد الى حاصبيا واحرق منازلهما في الدير وهدمها الى الارض . ثم توسط امرهم الامير اسماعيل حاكم حاصبيا واصلح بينهم . فرجعا الى البلاد واقاما في المناصف الى ان توفي الشيخ خطار وصفا خاطر الامير ملحم على الشيخ كليب فرجع الى الدير وعمر وسكن .

وفي هذه السنة . بعد رجوع الامير ملحم وانتصاره على المتاولة كان في عكا الشيخ ظاهر العمر من بني ابي زيدان اصحاب بلاد صفد المتقدم ذكرهم. كان الامير بشير قد ولاه تلك البلاد وكانت في ايدي آبائه من عهد بني معن حتى اراد الله فتولى الشيخ ظاهر مدينة عكا واقطاعها نائباً تحت يد وزير صيدا . فلما رأى الشيخ ظاهر ظفر الامير ملحم بالمتاولة وسطوته عليهم غير مبالٍ بامر الوزير خاف ان يسطو على بلاده ايضاً . وكان لعكا سور قديم قد تهدم كثير منه فاصلحه الشيخ ظاهر . وجدد ما كان قد دثر منه وتأهب في كلما يحتاجه من التحصين والمهمات . وقال بعض شعراء العصر مؤرخاً تجديد ذلك السور :

سور منيع عاصم عكا . فما ... تنثال . اذ قد عاد منه الدائر
من ظاهر العمر الذي اشتهرت له ... بين البرية انعم ومآثر
. تمت محاسنه فيرنو ناظر ... في حسن بنياه ويخسأ ناظر
لما بناه الشيخ ظاهر عنوة ... اعناه تاريخي بناه الظاهر

وفي سنة ١١٦٧ (١٧٥٣) دخلت شوكة من لوح صبير في يد الامير ملحم فآلمته جداً . ولكنه لم يكترث بها . فاستحم واستعمل الطيب فورمت يده وعظم الامر حتى عجزت الجراحون والاطباء عنه ونحل جسمه جراء ذلك

واشتغل بدواواة نفسه . فطمت فيه مشايخ البلاد . واتفقوا عليه بواسطة اخوته . فاضطر ان يتنازل عن الحكم .

وفي هذه السنة حضر الشيخ عثمان ابن الشيخ ظاهر العمر الى دير القمر نازلاً عند الامير ملحم لانه كان قد اعتاظ من ابيه فحضر عضباناً فتوسط الامير ملحم امره مع ابيه ورجع الى عكا واصطلح مع ابيه .

وفي هذه السنة قتل الامير اسماعيل ابو اللمع ابن عمه الامير اسعد . فركب الامير منصور وقاصرهم وضبط ارزاقهم . ثم رضي عنهم واخذ منهم عشرين الف قرش .

حكم الاميرين احمد ومنصور ١١٦٩–١١٧٧ (١٧٥٥–١٧٦٣)

وفي سنة ١١٦٩ (١٧٥٥) تسلم حكم جبل الشوف الامير احمد اخو الامير ملحم واخوه الامير منصور . واقاما في دير القمر . ونزل الامير ملحم الى بيروت وصرف اتباعه وابقى عنده اربعة انفار من المسلمين لخدمته . واتخذ كتبياً في العبادات الاسلامية ومشايخ يراجعهم في امر الدين وتورع في الديانة الاسلامية.

وفي هذه السنة كان نائباً عن دمشق الشام عبد الله باشا الشبتجي . وكان عداوة في دمشق بين وجاق الانكجارية والقبيقول . فارسلته الدولة بعسكر ثلاثة عشر الف نفر لاجل قطع هذه الخصومة . فاجتمعت عند قدومه اهل المدينة الى الميدان ليمنعوه عن الدخول . فكبسهم ليلاً وقتل منهم خلقاً كثيراً. ودخل الى البلد رغماً. فهابته النفوس وسكنت تلك البلابل التي كانت بينهم وقيل انه كان يتنكر كل ليلة ويطوف في شوارع المدينة وكل من وجده في الليل يقتله . فعظم امره عند الدولة . وكان في اصله مملوكاً كرجياً . ولذلك كان يحب النصارى كثيراً . وكان يحب الامير ملحم محبة عظيمة . وكان يقول ليس في الدنيا ماوذ الا عبدالله باشا الشبتجي والامير ملحم الشهابي والشيخ ظاهر العمر . ثم انعزل عبدالله باشا عن دمشق الشام . وتولى مكانه حسن باشا .

وفي هذه السنة انقضت صاعقة على قلعة بيروت فهدمت جانباً منها . فامر الامير ملحم ببناء ما هدم منها .

حكم الامير منصور ١١٧٧-١١٨٤ (١٧٦٣-١٧٧٠)

وفي سنة ١١٧٠ (١٧٥٦) وقع الاختلاف بين الامير احمد والامير منصور وابن اخيهما الامير قاسم ابن الامير عمر فتوجه الامير قاسم من البلاد الى نواحي البقاع . وقطع الطرق السالكة الى البلاد. فارسل الامير احمد والامير منصور واسترضياه واعطياه قرية غزير . وتزوج بابنة الامير منصور وسكن في غزير .

وفي هذه السنة كان غلاء عظيم في بلاد الشمال حتى كان رطل الخبز يباع بنصف قرش . ودام الغلاء سنة كاملة . وقيل انهم في بلاد الرها ونواحي بغداد كانوا يأكلون لحوم الخيل والبغال والحمير .

وفي هذه السنة ، نهبت العرب الحج عند قلعة القطرانة . فدخل الباشا القلعة وحاصر بها . فحاصروه اياماً . واخذوا المحمل . وقيل ان ام السلطان عثمان كانت في الحج فماتت رعباً. ولم يسلم من الحج غير القليل . وكان للباشا صديق من امراء العرب . فاخرجه من القلعة ليلاً وهرب الى غزه.. وقيل ان العرب كانوا يطبخون اللؤلؤ ويظنون انه ارز .

وفي سنة ١١٧١ (١٧٥٧) ، ثارت الحرب بين انكشارية دمشق والقبيقول وصار بينهم وقائع كثيرة . وكانت الناس من اهالي جبل الشوف في تلك الاطراف . فكانوا يسعفون الانكشارية وينصرونهم على القبيقول . وقتل من الفريقين نحو اربعين نفراً وحاصرت القبيقول في القلعة . وجرى بينهم وبين الانكشارية اربع وقائع . والانكشارية تنتصر عليهم باسعاف الدروز . وبعد رجوع عبدالله باشا الشتجي الى دمشق امر عسكره ان يكون مسعفاً للقبيقول. وطلب من الانكشارية عشرة آلاف قرش وكان رئيس الانكشارية محمد آغا ابن والي فامتنع عن ذلك ورد رسول الباشا . فغضب وامر العسكر ان يكبس منازل الانكشارية فوقع بينهم القتال وانكسر عسكر الوزير وقتل منه عشرون نفراً . وخرجت الانكشارية من البلد نحو الف خيال . ووقع القتال بين اهل المدينة والوزير . فقتل من اهل المدينة نحو مئة قتيل . ثم نادى عبدالله باشا بالامان . وكف عسكره عن القتال .

وكان في هذه السنة غلاء فاحش حتى بلغ ثمن كيل الحنطة ستة قروش .

ثم نادى الباشا في دمشق على خزنة الحنطة ان يبيعوا الكيل بقرشين ونصف. فكان كذلك.

وفي سنة ١١٧٢ (١٧٥٨) توفي السلطان عثمان ابن السلطان مصطفى. وقيل انه مات بالسم. وكانت مدة ولايته ثلاث سنين وثمانية اشهر. وخلفه السلطان مصطفى ابن السلطان احمد.

وفي هذه السنة ظهرت في البحر مراكب قرصان. واستوسقوا على سفينة لاهل بيروت فهاجت الاسلام في بيروت. وقاموا على الافرنج الذين في البلد وهجموا على دير البادرية. وقبضوا على الرهبان. واتلفوا ما في الكنيسة مما يتلف ونهبوا ما ينهب. فغضب الامير ملحم من ذلك. وقبض على الذين اثاروا تلك الحركة من اسلام بيروت. وشنق منهم اثنين. واستخلص للبادرية ما كانوا نهبوه من الدير.

وفي هذه السنة كان الامير احمد والامير منصور بعد توليها حكم البلاد قد قل احتفالها باخيها الامير ملحم ولم يعد له عندهما مقدار. فشق عليه ذلك. ولم يجد له سبيلاً الى منازعتها الولاية. وكان في ايام ولايته قد تولى ايالة صيدا مصطفى باشا القواص. فدعاه الامير ملحم الى دير القمر فحضر. واخذه الى نبع الباروك. وقدم له الخيل والسلاح. وبالغ في اكرامه وصار بينهما محبة عظيمة. ثم انعزل مصطفى باشا ورجع الى القسطنطينية. وسار له منزلة في الباب العالي. وقد ذكرنا ما كان بين الامير احمد والامير منصور. وبين الامير قاسم ابن الامير عمر. وكانت لم تزل بينهم جفوة مما مر. ولما رأى الامير ملحم استخفافها به دعا اليه الامير قاسم وكتب معه الى مصطفى باشا القواص ان يسعى له في اخراج الولاية باسمه من الباب العالي. وارسله الى هناك. فرحب به مصطفى باشا واكرمه وانزله احسن منزل وسعى في حاجته فلم يرُدّ وحصل الوعد بقضائها. واتفق في تلك الايام انه قبل اتمامها. توفي السلطان عثمان وقام مقامه السلطان مصطفى. وكان يكره مصطفى باشا القواص. فنفاه من القسطنطينية.

حكى الامير قاسم نال. كنت ذات ليلة عند مصطفى باشا القواص في القسطنطينية. واذ قد دخل عليه رجلان بايديهما مصابيح ودفعا اليه صحيفة

صغيرة . فقرأها ونبض من فوره وسار معها وقال لنا امكثوا هنا الى ان اعود . فبقيت انا ونائبه ساهرين نتحدث في ذلك ولا نعلم السبب . وما برحنا الى ان رجع مصطفى باشا بعد نصف الليل ومعه الرجلان عصابيحهما . فنهضنا عند دخوله حتى جلس وامرنا بالجلوس فجلسنا ولم نجسر ان نسأله عن شيء . فقال هل علمتم لماذا دعينا ؟ قلنا لا . قال قد انتقل الى عفو الله تعالى مولانا السلطان عثمان . فذهبنا صلينا عليه ودفناه واقمنا مكانه السلطان مصطفى الثالث الاسم ابن المرحوم السلطان احمد الثاني وباركنا له بالملك ورجعنا . وغداً تصير الزينة في المدينة ويخرج السلطان الجديد الى الجامع . ثم قال لنائبه : استأجر لك مكاناً يكشف على الطريق ليتفرج الامير قاسم على خروج السلطان . فارسل واستأجر داراً ذات مشارف على الطريق . وعند الصباح ذهبنا وجلسنا هناك . ثم اخذت الارط تتوارد كل ارطة بزيها وملبوسها وهو ينبئني باسمائها الى ان وردت الاثنتان والسبعون ارطة ثم اقبلت رجال الدولة بالجواهر والحجارة الكريمة ونورها يدهش البصر . واقبل السلطان مصطفى بكرك اخضر وقاووق اخضر . وقد غطته مراوح مزخرفة من ريش النعام . وهو شاب اشقر اللحية متقلد بسيف مذهب مرصع بالجواهر النفيسة . وفي يده مصحف كذلك . ومر في طريقه الى الجامع . فصلى ورجع من هناك الى داره في البحر . ورجعت المراكب على ترتيبها .

وفي سنة ١١٧٣(١٧٥٩) . توفي الامير ملحم في مدينة بيروت . وحزنت عليه عائلته حزناً عظيماً لانه كان بمنزلة اب لهم . وقد اعطاهم كثيراً من الاملاك . وهو الذي ربى جميع اخوته . لانه لما توفي ابوه الامير حيدر لم يكن بالغاً في اولاده غير الامير ملحم والامير احمد . وكان محباً للجميع بالمساواة . ولما توفي الامير ملحم كان جميع اولاده صغاراً . وكان وكيلاً عليهم ومربياً لهم سعد الخوري صالح من رشميا .

وفي هذه السنة رجع الامير قاسم الشهابي من القسطنطينية الى دمشق الشام. وكان بعد نفي مصطفى باشا القواص من هناك قد انقطعت وسائله ولم يبق له مسعف على حاجته . فانقطع رجاؤه منها الا ان مصطفى باشا كان له شراق في القسطنطينية يقال له علي باشا الحكيم . فاوصاه به عند خروجه من هناك

ان يكون مسعفا له . وكانت الاحوال مضطربة بعد قيام السلطان الجديد . فامره علي باشا ان يعود الى دمشق ويكتب معه الى عبد الله باشا . فاضطر الامير قاسم الى الرجوع . واصحبه علي باشا بكتاب الى عبدالله باشا. ولما دخل الامير قاسم على عبدالله باشا دفع اليه الكتاب ، فقبله بكل اكرام وكان قد حان خروجه الى الحاج فعرض على الامير قاسم ان يعطيه المقاطعة التي يريدها في إيالة دمشق . فلم يقبل . وبقي في دمشق حتى رجع عبدالله باشا من الحج . فسار الامير قاسم الى ملتقاه وقدم له ثلاثة عشر حصاناً من جياد الخيل. وكان ملتقاهما في ضحراء المزاريب . وهناك حضر الى الباشا اعلام بوفاة علي باشا الحكيم . ورجع الامير قاسم من هناك الى دمشق مع عبدالله باشا. واقام عنده اياماً . فاتته الغزلة . وتولى مكانه شاليش باشا . فضاق صدر الامير قاسم وساءه عدم ذلك التوفيق . فخرج من دمشق واتى الى فالوغا في المتن ونزل عند الامير شديد ابن الامير مراد ابي اللمع . واقام عنده سنة ثم ارسل عمه الامير احمد والامير منصور فاسترضياه . وحضر الى حدث بيروت حيث كانت عياله .

وفي سنة ١١٧٤ (٧٦٠) . انجد للامير احمد ولد وساعده الامير حيدر . وهو المؤرخ المشهور .

وفي هذه السنة تولى دمشق الشام عثمان باشا الكرجي الملقب بالصادق . وكان السبب في هذا اللقب انه كان من بعض مماليك اسعد باشا العظم والي دمشق . وكان اسعد باشا قد تولى دمشق سنين كثيرة وجمع اموالاً لا تحصى وبنى ابنية عظيمة في دمشق . منها الخان المعروف باسمه الى الآن . ومشى الحج بنفقته سنوات. فانعمت عليه الدولة بطوق إشهاداً لانعطافها اليه. وامرت ان لا يقتل ولا يشهر عليه سلاح. ولما علمت بكثرة امواله التي جمعها ، ارسلت فقتلته خفية في الحمام وضبطت امواله فكانت مبلغاً عظيماً لا يقع تحت حساب. وكان اسعد باشا يحب مملوكه عثمان المذكور لاجل نباهته واستقامته في الخدمة. فكان يقربه اليه ويثق به في اسراره ولما قتل مولاه ووقع الضبط على داره طلبوا عثمان المملوك وسألوه عن خزائن سيده . فقرر لهم عنها كما هي . وبعد ذلك وجدت حافظة بعلم تلك الاموال . فكانت كما ذكر المملوك . وبلغ

ذلك الدولة العلية فانعمت عليه بثلاثة اطواق . وقيل له عثمان باشا الصادق . وكان من الاستقامة في القول والعمل على جانب عظيم .

وفي هذه السنة اصطلح الامير قاسم مع عميه الامير احمد والامير منصور اصطلاحاً تاماً وسكن في قرية بشامون من قرى الغرب الاعلى .

وفي سنة ١١٧٥ (١٧٦١) ولد للسلطان مصطفى غلام سماه السلطان سليم . وارسل البشائر الى جميع المدن في مملكته . وقامت الافراح والزينات في كل مكان . ونظم هذا التاريخ :

لما بدا بدر العلى في ذروة المجد العظيم
والسعد قد عم الملا ارخت محفوظاً سليم

وفي هذه السنة حدث اختلاف بين طائفة الروم والكاثوليكيين في مدينة حلب واخرجت الروم اوامر من الدولة العلية في القبض على البعض من وجوه الكاثوليكيين. فقبض عليهم الوزير وحبسهم فاعرضت طائفة الكاثوليكيين الى الباب العالي وخرجت فتوى من المحكمة الهمايونية بعدم التعرض لهم وهذه صورتها :

وما قولكم ادام الله فضلكم في رجل ذمي تولى بطريركا او مطرانا على النصارى الذميين الاروام وغيرهم من الغرباء القاطنين في مدينة حلب او دمشق الشام او غيرهما من مدن المملكة العثمانية بموجب خط شريف من حضرة مولانا السلطان لتعاطي امورهم الكلية والجزئية في دينهم من عقد نكاح وصلوات وغير ذلك من الاحكام . ثم ان فرقة منهم تعدت عليه وخالفته ضد امر مولانا السلطان . واختلطت بالافرنج الحربيين وتدينت بديانتهم وصلت في كنائسهم تريد في ذلك مخالفة امر مولانا السلطان والاستعلاء على المسلمين فهل تجبر على طاعة الامر العالي بامتثالها للبطريرك او المطران المذكورين . وان خالفت امر مولانا السلطان واستعلت على المسلمين فهل تكون حربية وينقض عهدها وتجري عليها احكام الحربيين وتكون دماؤها هدراً واولادها غنيمة للمسلمين ام لا ؟ افيدوا بالجواب . ولكم الاجر والثواب .

الجواب : الحمد لله مانح الصواب . انت خبير بما هو مصرح به في كتب ائمة مذهب امامنا النعمان وشرحه وفتاويه ان الكفر ملة واحدة . فان تدين النصراني بما تدين به اليهودي او تدين اليهودي بما تدين به النصراني او بما تدينت

به الافرنج فلا يكون ذلك ناقضاً لعهدهم لتصريح صاحب الكنز وغيره من معتمدي ايمتنا بان الذي لا ينقض عهده الا بالتحاقه بدار الحرب او بالغلبة على موضع الحرب . فان علمت ما قررناه ظهر لك ان الفرقة من النصارى الذميين اذا اجتمعوا بالافرنج وتدينوا بدينهم وصاروا في كنائسهم لا يكون ذلك تعدياً منهم ولا استعلاء على المسلمين ولا نقول انهم قد انتقلوا من دين الى دين . لما قررناه من ان جميع الاديان المخالفة لدين الاسلام في الكفر على حد سواء . ولاجل ذلك لا ينقض عهدهم ولا تجري عليهم احكام الحربيين لان الافرنج الحربيين اذا دخلوا دار الاسلام بامان يكونوا مستأمنين . وان مكثوا سنة ولم يعودوا الى دارهم يكونوا ذميين . وتجري عليهم احكام اهل الذمة . ولا يجوز سفك دمائهم ولا اخذ شيء من اموالهم ما داموا في دارنا كما هو مصرح به . ولا يكون عدم اداثهم الجزية مبيحاً لشيء من ذلك . ولا عدم اخذ الجزية من الافرنج القاطنين في دارنا تقصير منا . بل ان ابوا عن دفعها ايضاً كما يقول صاحب الكنز فلا ينقض عهدهم بابائهم عن الجزية ولا نقول انهم حربيون . واذا كان لا يجوز لنا سفك دماء الافرنج المذكورين في دارنا ولا اخذ شيء من اموالهم بغير حق فالاولى ان لا يجوز لنا ذلك بالنسبة الى الذميين الخاضعين لاحكامنا . ولا يجوز لاحد ممن يؤمن بالله واليوم الاخر ان يتعرض للفرقة الذميين سواء كانوا حلبيين ام دمشقيين ام غيرهم او يأمرهم بالطاعة للبطريرك او المطران المذكورين بالكفر . وقد تقرر في قواعد اهل السنة ان الرضى بالكفر كفر هو . نعوذ بالله من ذلك . وتوليهما عليهم بخط شريف من حضرة مولانا السلطان لا ينافي تدينهم بدين غيرهما . فان وجد بالخط الشريف ما يشعر بامتثالهم الى البطريرك او المطران فانه يكون قد وقع سهواً مرتباً على انتهاء البطرك او المطران لاستحالة وقوع ذلك قصداً من مولانا السلطان ايده الله تعالى . فيثاب حضرة مولانا الوزير وحكام الاسلام عن منع الذمي البطرك او المطران من تعرضهما للذميين الاغراب . وهذا الجواب المعتبر المعول عليه . ولا يعمل بغيره ولا يلتفت اليه . والله سبحانه اعلم . حرره الفقير اليه تعالى سليمان المنصوري الحنفي .

وفي سنة ١١٧٧ (١٧٦٣) اختلف الامير احمد والامير منصور في الحكم

فنزل الامير منصور الى بيروت واحضر محمد باشا العظم والي صيدا الى حرش بيروت وطلع به الى دير القمر . فقام الامير احمد من الدير الى كفرنبرخ . وحانت عليه مشايخ الغربية . وحضر الى دير القمر الشيخ عبد السلام حماد والشيخ شاهين تلحوق . وتوجه الامير يوسف ابن الامير ملحم واخوته وعيالهم الى المختارة . وضبط الامير منصور جميع املاكهم . ثم توجه الامير يوسف الى راشيا والتقاه الامير منصور حاكم راشيا بكل اكرام ودخل في الصلح الشيخ علي جنبلاط والشيخ كليب نكد بينه وبين عمه الامير منصور. وحضر الامير يوسف الى بشامون قاطناً عند ابن عمه الامير قاسم ابن الامير عمر الذي تقدم الكلام عنه . وحضر كاخيته سعد الخوري الى بسكنتا . واقام عند الامير احمد ابن الامير حسين ابي اللمع حاكم بسكنتا . وابتدأ الشيخ علي جنبلاط يترامى على الامير منصور في رفع الضبط عن املاك عائلة الامير ملحم . وكان الامير منصور له طمع في ميل الدولة اليه . فرد سؤال الشيخ علي ولم يرفع الضبط . وكان في ذلك الوقت اتفاق حسن بين الشيخ علي والشيخ كليب نكد . وهما يحبان الامير يوسف محبة صادقة . وكان شيخ العقل في تلك الايام الشيخ اسماعيل ابو حمزة . فارسله الشيخ علي جنبلاط الى الغرب . الظاهر لكي يحافظ على الخلوات حسب العادة . والباطن لكي يربط مع اهالي البلاد على قيام مصلحة الامير يوسف . وبعد حضور الشيخ اسماعيل الى الغرب اتفق الشيخ علي والشيخ كليب مع الامير يوسف ان يتوجه الى دمشق وجميع البلاد في غرضه . فتوجه الامير يوسف الى قب الياس في البقاع . وحضر اليه سعد الخوري من بسكنتا . وتوجه به الى دمشق الشام . وكان عليها عثمان باشا الكرجي الصادق الذي تقدم الكلام عليه فالتقاه بكل اكرام ورجع الامير منصور الى بيروت ومحمد باشا الى صيدا . وقدم له الامير منصور خدمة عشرة الاف قرش . وتوجه الشيخ كليب الى حاصبيا خوفاً من الامير منصور. وكان محمد باشا الكرجي ابن عثمان باشا نائباً على طرابلس الشام . فكتب اليه عثمان باشا ان ينعم على الامير يوسف بحكم بلاد جبيل . لانها في ذلك العهد كانت تابعة ايالة دمشق . وخرج الامير يوسف بذلك الكتاب الى مدينة جبيل والتقاه الشيخ كليب نكد الى الطريق . وسار معه . ولما وصل الى

جبيل حضرت اليه اكثر مشايخ البلاد وتقدم من هناك الى طرابلس وكان عمره يومئذ اثنتي عشرة سنة . واتا سعد الخوري كان يدبر اموره . وكان الامير يوسف كريماً فاحبته الناس ومالت اليه اهالي البلاد .

وفي سنة ١١٧٨ (١٧٦٤) ركب عثمان باشا الصادق على الشيخ محمد الجرار في قلعة سانور . وارسل الى الامير يوسف فجمع الامير يوسف عسكرًا والتقى به عثمان باشا فعظم امره عنده واكرمه غاية الاكرام . وكان الامير منصور حنقاً على الشيخ علي جنبلاط . فاتفق مع الامير قاسم والامير علي والشيخ عبد السلام العماد على قصاصه . ولما علم الشيخ علي بهذا الاتفاق ارسل فدفع الى الامير يونس اخي الامير منصور سبعة الاف وخمسمئة قرش حتى يقوم الى الشوف . فقبل الامير يونس . وقام من دير القمر الى مزرعة الشوف فحضرت اليه المشايخ الجنبلاطية برجال الشوف والبعض من رجال البلاد . واشتدت الحركة . وفي ذلك الوقت اتفق انه انعزل محمد باشا العظم من صيدا ومات السيد علي المرادي في دمشق . وهما عمدة الامير منصور وبهما كان يشتد عزمه . فضعف عزم الامير منصور وعدل عما كان في نفسه . وحضر الشيخ علي والامير يونس الى مواجهته في دير القمر وحصلت الالفة بينهم . ورجع منصور الى بيروت والامير يونس والشيخ علي الى منازلهما .

وفي هذه السنة كان امير الحج في مصر حسين بك كشكش . وكان بطلاً في الحرب . لا يطاق . وكان يخرج بالحج ويرجع بدون ان يعطي دمية العربان . وكان في ذلك الموسم امير الحج الشامي عثمان باشا الصادق . فالتقيا هناك ووقعت بينهما منافرة . فتلافاها الشريف مساعد بن زيد سلطان مكة . وكان يميل الى عثمان باشا وبقي في نفسها اثر من ذلك . وعاد كل منهما الى مكانه . وبعد رجوع الحج المصري كان فيه الامير علي بك وكان عنده خزندار يقال له محمد . فالبسه كاشفاً عن المنوفية . ثم البسه سنجقاً . وكانت عادة الغز انه حين يلبس احدهم على السنجقية يخرج من دار مولاه وينثر الفضة على الخدم . فخرج محمد ونثر الذهب فقيل له ابو الذهب . واما استاذه علي بك فانه بعد ذلك تمرد على السناجق فاتفقوا عليه واخرجوا امرًا من الوزير بنفيه واخرجوه من مصر منفياً الى الاقطار الحجازية . فاقام مدة في السويس . ورجع

سراً الى مصر ومعه مملوكه محمد ابو الذهب ودخل الى بيت حسين بك كشكش . وارسل محمد ابا الذهب الى بيت عثمان بك الجرجاوي . ولما علمت السناجق برجوعه عقدوا ديواناً . فجزم الامير خليل بك شيخ البلد وبعض السناجق برجوعه الى الحجاز حسب امر الوزير . فابى حسين بك وعثمان بك لدخوله منازلهما . واخيراً اتفقوا على خروجه الى بلاد الصعيد فانزلوه البحر وجهزوه بما يحتاجه وتوجه الى مدينة اسيوط ومعه مملوكه محمد ابو الذهب . وكان منفياً هناك صالح بك تابع مصطفى بك . وبعد ذلك اخذ علي بك وصالح بك يكاتبان الوزير وبعض السناجق فمال اليهم حسين بك جوجو . وربط مع الوزير حمزة باشا وبعض ارباب الوجاقات على قتل الامير خليل بك شيخ البلد وعثمان بك الجرجاوي وحسين بك كشكش . وصار الاتفاق انهم متى حضروا لتهنئة الوزير بالعيد يثبون عليهم ويقتلونهم . وكان ذلك في اواخر شهر رمضان . ولما كان العيد حضروا كعادتهم مستأمنين . وجلسوا بحضرة الوزير دخل عليهم اربعة انفار واطلقوا عليهم الرصاص . فاصابوا عثمان بك الجرجاوي فقتل . وهربت بقية السناجق الى باب الغرب وباب الانكشارية . وقامت لحمايتهم رجال الوجاقات وثاروا على الوزير والقوا عليه التراسيم وطلبوا حسين بك جوجو واصحابه فاختفوا في البلد ثم خرجوا الى الصعيد والتقوا بعلي بك وصالح بك . واخبروهما بقتل عثمان بك الجرجاوي . وكان الشيخ همام حاكم الصعيد يحب علي بك محبة عظيمة . فالتجأ اليه علي بك وسأله النجدة فجهز معه عسكراً من العرب والهوارة . وانضمت اليهم الغز المنفية الى بلاد الصعيد من قديم الزمان . وساروا بتلك العساكر يطلبون مصر . ولما علم بذلك خليل بك والسناجق الذين في مصر جهزوا عساكرهم . وخرجوا الى ملتقاهم . فالتقت العساكر في مكان يقال له البياضية وانتشبت بينهم الحرب . فانكسرت عساكر خليل بك . ورجعوا طالبين بلاد غزة والاقطار الشامية . وتقدم علي بك وصالح بك الى قرية يقال لها البلد . فنزلا هناك . وخرجت اليهما اكابر الوجاقات . وعلماء البلد ونائب الوزير والاعيان وادخلوهما الى مصر باحتفال عظيم . ولما دخلوا المدينة قصدوا القلعة واخرجوا حمزة باشا من تحت التراسيم . فخلع على علي بك واقامه شيخ البلد وعلى صالح بك واقامه متولياً .

وفي هذه السنة اصلح الامير اسماعيل ابن الامير منجم حاكم حاصبيا قلعة بانياس وبنى ما كان قد هدم منها من ايام بني معن ونزل بها قاطناً . فحضر اليه عثمان باشا الصادق والي دمشق وحاصره اياماً . وكان لما بلغه خروج عثمان باشا ارسل استنجد الامير منصور الشهابي . وقبل ان تصل اليه النجدة سلم القلعة عن يد يوسف آغا ابن جبري نائب عثمان باشا . ولما تسلم القلعة عثمان باشا قبض على الامير اسماعيل واخذ منه اثني عشر الف قرش ونهب كل ما كان في القلعة . ثم امر بهدمها واطلق الامير اسماعيل بعد ذلك . فاراد ان يتوجه الى القسطنطينية . وسار حتى وصل الى بلاد بعلبك . فارسل الامير منصور اخاه الامير علي وابن اخيه الامير قاسم الذي كان توجه الى القسطنطينية سابقاً ورجع فارغاً . فعدلاه عن ذلك . وحضروا جميعاً الى بيروت . واصلح الامير منصور بين الامير اسماعيل واخيه الاكبر سلمان . لانهما كانا قد اختلفا على حكم وادي التيم . ورحل الامير سلمان الى بيروت . وبعد اتفاقهما رجعا معاً الى حاصبيا . واقاما مدة هناك . فغدر الامير اسماعيل بالامير سلمان . وقتله . وكان له ولدان فهربا الى بيروت . وتمكن الامير اسماعيل من حكم وادي التيم . واتفق مع المشايخ المتاولة والشيخ ظاهر العمر . وخافت منه امراء تلك البلاد . وكان قد زوج اخته بالامير منصور وصار بينهما محبة شديدة . وكانت اخته الاولى زوجة الامير ملحم واتخذ الامير اسماعيل كثيراً من الخدم والخيل والسلاح . وصار في ثروة واسعة . واصلح الامير منصور امر اولاد الامير سلمان . وجعل لهم معاشاً على عمهم . ورجعوا الى حاصبيا واقاموا هناك .

وفي سنة ١١٨٠ (١٧٦٦) رجع الامير خليل بك وحسين بك كشكش ومن معهما من بلاد غزة هاشم ومعهما عساكر كثيرة عربان ومغاربة ودالاتية ووصلوا الى مدينة المنصورة . ولما بلغ الامير علي بك قدومهم جهز اليهم العساكر مع مملوكه محمد بك ابي الذهب . وخرجت معه الوجاقات السبعة فالتقوا في نواحي المنصورة واشتبك بينهم القتال اكثر من اربع ساعات . فانكسرت عساكر علي بك ورجعت الى مصر . فجرد علي بك ركبة ثانية وخرج معها صالح بك ومحمد بك ورجال الوجاقات السبعة . ولما علم الامير خليل بك والامير حسين بك بتجريد العساكر عزما على المسير الى اراضي الصعيد . فلم

يحبها العسكر الذي معها على ذلك . وانصرف كل منه الى بلاده . فسار خليل بك وحسين بك بعشيرتهما الى هناك . ونزلا في قرية يقال لها طلدة . واجمع رأيهما على ترك القتال ومراسلة السناجق الباقين في مصر ان يقبلوهما . وكان صالح بك لما بلغه دخولها الى تلك الاراضي سار اليها ومعه محمد بك ابو الذهب . ولما اقترب من طلدة اجتمعت اليه اكابر الوجاقات . وقالوا له الاوفق لنا ان لا نتعاطى امر القوم ومعنا محمد بك ابو الذهب لاننا نعلم انه لا يخامر عليهم . واذا انتشب القتال بيننا وبينهم لا بد ان يتخلى ويتركنا في المقدمة . فان رأيت ان نفوض الامر اليه . فقبل صالح بك رأيهم . وساروا جميعاً الى خيمة محمد بك ابو الذهب . وقالوا له : انت ابن الامير علي بك وهؤلاء اخوتك . وانتم عائلة واحدة . ونحن قد فوضنا هذا الامر اليك . فافعل ما تراه صواباً . فدعا محمد بك كاشفاً يقال له ذو الفقار الفيومي . وامره ان يمضي الى طلدة ويظهر انه قد غاب عن ابي الذهب وينضم الى خليل بك وحسن بك ويحتال على قتلهما . فكفل له ذو الفقار ذلك . وسار برجاله الى هناك . وكان القوم لا يحتسبون منه . لانه كان من عشيرتهم . فاطمأنوا اليه . وعند وصوله هجم عليهم برجاله فأصاب عبده حسين بك برصاص فقتله . وكان الى جانبه مملوك له . فقتله ايضاً . وانذعر القوم من ذلك فتشتتوا . وكان في طلدة مقام للسيد احمد البدوي تنبيه الاسلام . ففر خليل بك ودخل ذلك المقام . واحتمى فيه مع مماليك علي بك المللطي وعثمان بك . وتلاه حمزه بك والوالي . فادركتهما جماعة ذي الفقار وعبده قبل دخولها الى المقام وقتلوهما هناك . وفر اسماعيل بك ابو مدفع الى الجهة الشرقية ودخل مدينة المنصورة . وكان ذو الفقار قد قطع رؤوس الذين قتلوهم . فارسل تلك الرؤوس الى محمد بك ابو الذهب واعلمه بدخول خليل بك ومماليكه الى مقام السيد احمد البدوي . فارسل محمد بك اعلم مولاه علي بك بذلك . فرجع الجواب ان خليل بك واصحابه حيث دخولهم مقام البدوي . لا يهجم عليهم حفظاً لحرمة المقام . ولكن يخرجهم بالامان ويرسلهم الى الاسكندرية . واخرج امراً من الوزير بذلك وان يطوف محمد بك وصحابه في جميع الاقليم ويقتل كل من وجده من السناجق والكشاف . فخرج خليل بك ومماليكه من المقام وسافروا

الى الاسكندرية بالامان ورجع محمد بك وصالح بك الى المنصورة . وقبضا على اسماعيل بك وحسين كاشف ومحمد كاشف . وقطعا رؤوس الثلاثة . ورجعا الى مصر . وتلك الرؤوس قدامهما على الصواني الفضية . فارسل علي بك الى القسطنطينية واعرض للدولة العلية ان هؤلاء القوم كانوا عصاة متمردين وانهم حبسوا الوزير في القلعة . واخرج اعلاماً بذلك من العلماء والاشراف . وبعد ذلك ارسل الى الاسكندرية وخنق خليل بك شيخ البلد في القلعة . وطابت له الايام . وخافت من سطوته اهالي تلك البلاد . وكان علي بك رجلاً جباراً يحب الرئاسة ولا يريد ان يكون له شريك فيها . فكان يبذل جهده في قتل السناجق والكشاف حتى لا يبقى امامه احد . وجعل يتخذ رجالاً جديدة ويجتهد في قرض الوجاقات القديمة . وحدثته نفسه ان يسطو على الحجاز واليمن والشام ويعيد دار الخلافة الى مصر كما كانت في ايام الشراكسة . واقام علي بك في تلك الايام والياً على البلاد رجلاً يقال له احمد الجزار . وكان هذا الرجل اصله من بلاد البشناق من اقليم البوصنة . حضر الى مصر وخدم عند احمد كاشف . ولبس مابوس المماليك وبعد ذلك توفي سيده . فانتقل الى خدمة رجل من السناجق يقال له عبدالله بك . واتفق ان عبدالله بك خرج يوماً الى الجيزة فقتله العرب الهنادي . فانتقل الجزار الى خدمة ذي الفقار . فاقامه مقداماً على القرية في نواحي العرب الذين قتلوا مولاه فكان يترصدهم ويقتل من ظفر به منهم . فقتل اربعة من مشايخهم . وارسل رؤوسهم الى مصر . فصار له اسم هناك . وكان كلما قتل واحداً منهم يقول : يا ثار عبدالله بك . وبذلك قيل له احمد الجزار . واحبه علي بك وقربه اليه حتى جعله والياً كما مر . وبقي احمد بك الجزار في رتبة علي بك الى ان دعاه في بعض الايام . وطلب منه ان يسير مع محمد بك ابي الذهب الى قتل حسن بك جوجو . فمضيا . وراقباه حتى خرج من منزله ليلاً ومعه الجن علي بك . فهجما عليهما وقتلاهما وهربت اصحابهما . وعاد محمد بك واحمد بك الى الامير علي بك واعلماه بذلك فاغتاظ من قتل الجن علي بك . فاعتذرا اليه انه قتل غلطاً . وبعد ذلك لبس علي بك الجزار سنجقاً وعاشت منزلته عنده . وكان ذلك بغير رضى صالح بك . فاحتسب علي بك منه وعزم على قتله . فدعا احمد بك الجزار

وامره ان يسير في قتله مع محمد بك ابي الذهب . فقال ان بيني وبين الرجل عهداً من حين كنا بالعريش ان لا يخون احدنا صاحبه . والان لا انقض ذلك الميثاق . فانكر علي بك ذلك خوفاً من ان يعلم الجزار صالح بك . وتلافى الامر معه . فقال له : حياك الله يا احمد بك . الان عرفت انك تحفظ الوداد . وانا اردت ان اختبرك . فقد حظيت الان عندي اضافاً . وخرج من عنده . احمد بك الجزار الى صالح بك من فوره . واعلمه بما كان فقال صالح بك : ما اظن ان اخي علي بك يفعل هذا . لان بيني وبينه عهوداً ومواثيق. كما بيني وبينك .

ومن الغد حضر علي بك الى دار صالح بك وهو يعلم ان الجزار لا بد ان يعلمه بذلك . وقال له : يا اخي هل اخبرك احمد بك الجزار ما قلت له ؟ قال نعم . فقال علي بك: وانت يا اخي ينبغي ان تختبر رجالك لتعرف الخائن من الوفي . فلن من لا يحفظ الوفا . لغيرك لا يحفظه لك . ثم رجع علي بك الى منزله واخبر محمد بك ابا الذهب بكل ذلك . وقال له الاصوب لنا ان نقتل صالح بك واحمد بك ايضاً . لاننا لا نأمن شرهما .» ومن ذلك الوقت صار محمد بك ينتهز الفرصة الى ان خرج يوماً صالح بك واحمد بك الى خارج البلد . فخرج معهما محمد بك ابو الذهب . ولما كان في بعض الطريق مشى محمد بك خلف صالح بك . وضربه بالسيف . فخرّ على الارض قتيلاً . وهربت اصحابه . وكان احمد بك الجزار متأخراً عنهما فخادعه محمد بك ابو الذهب. وتقدم به الى الجيزة وكان احمد بك على حذر منه لا يمكنه من فرصة عليه حتى جلسا ناحية في الجيزة واخذ محمد بك يباسطه حتى يأنس به . ثم جعل يمسح سيفه من الدم . ويقلبه . ويعجب من مائه ومضائه . وقال لاحمد بك: يا اخي كيف سيفك ؟ ارني اياه . فقال : ان سيفي لا يخرج من غمده الا ليدمي . ونهض قائماً . فضحك محمد بك . ومازحه ليريه انه اتى ذلك بقلب سليم . ورجعا بعد ذلك الى المدينة . فمضى احمد بك الى منزله . ولبس لباس المغاربة وسافر الى بولاق . ثم الى الاسكندرية . ثم الى القسطنطينية . ثم الى حلب . ثم الى دمشق . وسيأتي تمام الكلام عنه .

واما علي بك فلما رجع اليه محمد ابو الذهب واخبره بقتل صالح بك وما

كان بينه وبين احمد بك الجزار امر، علمانه ان يدعوا الجزار من منزله . فاتوا منزله . وسألوا عنه فقالت زوجته : انه مريض . وبعد ثلاثة ايام ذهب محمد بك ابو الذهب الى منزل الجزار فلم يجده . وعلم انه قد سافر . ولكن لم يعلم الى اين . فارسل علي بك في طلبه برًا وبحرًا . ولم يجده . وقيل له انه سافر الى القسطنطينية . فاكتفى بذلك . وطابت له الايام . وانفرد بالولاية في مصر . ولم يبق له ضد ولا ند . واخذ يسطو على الوجاقات فيقتل بعضًا وينفي بعضًا . ويكثر من الجنود والانصار حتى تمهدت له الاقطار المصرية وعظم موكبه وكان اعظم اصحابه محمد بك ابو الذهب . وكان محمد بك رجلًا مهيبًا جميل الصورة سعيدًا في ركوبه خبيرًا بالقتال شجاعًا لا يبالي بالاخطار . ونظم الامير علي بك احوال مصر وقطع اللصوص والخطفة واجرى العدل والامان وهابته الناس وشاع ذكره في جميع الاقطار .

وفي سنة ١١٨١ (١٧٦٧) خسفت الارض في جانب نهر الصفا تحت قرية كفرنبرخ . وتزلزلت تلك الارض . فانتقل الجبل الذي هناك الى الجانب الثاني . وراحت اغراس لا تحصى تحت الهدم . وابيات هناك علاها الردم . فمات بها جملة اناس وكثير من المواشي وقيل انه بعد ايام كان يسمع صياح الديوك من تحت الردم . واجتمع كثير من التراب وغيره في مجرى النهر فاحتقن جملة ايام . وظل ماؤه متكررا جملة سنين وكان في ذلك المكان معادن كبريتية وهي باقية الى الآن في جانب النهر . واذا مست فاحت منها رائحة الكبريت ولعلها كانت هي السبب في ذلك . وقيل ان رجلًا من كفرنبرخ كان فوق ذلك الجبل . واذا بالجبل يمشي به كالسفينة . فاذا به قد صار في الجانب الاخر . فلم يضره ذلك . ولكنه اندهش فاختل عقله وعاش بعد ذلك عدة سنين مجنونًا . وكانت تلك الحسنة في ثامن عشر شهر كانون الاول .

(يتبع)